# أشهر المفتين من أهل البصرة

- **ومن أهل البصرة:**

## أنس بن مالك - رضى الله عنه -

هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر ابن غنم بن عدى بن النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة الخزرجى الأنصارى.

وكنيته: أبو حمزة. كناه بها رسول الله ﷺ لبقلة[1] كان يجتنيها وكان طعمها فيه لذع أى حموضة. وهذا هو معنى الحمزة.

وأنس منذ طفولته كان هادئ الجلسة، رقيق الحديث، ناعم المخاطبة، توحى تصرفاته بحسن تنشئته وتربيته لأن سلوكه كان ينم دائماً عن ذوق وتهذيب.

واشتهر أنس بين شباب المدينة المنورة ببراعته فى رمى السهام. فلم يكن يجاريه أحد فى ذلك. كما أجاد ركوب الخيل وألعاب الفروسية.

نشأ أنس بن مالك فى بيت عرف الإسلام قبل غيره، وأخلص أهله لدين الله عز وجل، وسبقوا الناس بإيمانهم بمحمد بن عبد الله ﷺ نبياً ورسولاً.

وكان أنس فى السنة العاشرة من عمره عندما اصطحبته أمه إلى رسول الله ﷺ حين قدم للمدينة وقالت له:

- يا رسول الله ....

هذا أنس غلامك يخدمك. فادع الله له.

فقبّله رسول الله ﷺ بين عينيه ودعا له قائلاً:

- "اللهم أكثر ماله وولده وبارك له وأدخله الجنة".

ففاز بشرف خدمته ﷺ وملازمته فى أكثر أحواله. وسمع الكثير من حديث الرسول ﷺ.

وبقى أنس خادماً لرسول الله ﷺ لمدة عشر سنوات تعلم فيها وتفقه فى الدين.

وهو يخدم النبى المصطفى وسيد المرسلين، ولقد لقى من حسن خلقه ﷺ مالقى، ولقد أحبه الرسول ﷺ ودعا له بالبركة.

---

(١) بقلة : نوع من الخضار والبقول .

ولم يغب أنس بالرغم من صغر سنه عن كل الحروب والغزوات التى خاضها رسول الله ﷺ. واستطاع أن يتعلم من المسلمين المجاهدين فنون القتال واستعمال السلاح حتى إذا تجاوز الخامسة عشرة من عمره نزل إلى ساحة الجهاد يشارك المسلمين الأبرار فى قتال أهل الشرك والكفر.

وقد شهد مع رسول الله ﷺ ثمانى غزوات ولم يمنعه من بقية الغزوات إلا صغر سنه.

اكتسب أنس بن مالك، الكثير من رسول الله ﷺ. فقد ازداد علمه واتسع فقهه، وعمق فهمه لأمور الدين وحفظ الأحاديث النبوية الشريفة حتى كان من أكثر المحدثين والرواة عن رسول الله ﷺ وكان ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ.

وكان شديد الفخر لأنه خدم النبى ﷺ. فقد روى أبو داود عن أنس أنه قال:

- "إنى لأرجو أن ألقى رسول الله ﷺ فأقول:

- يا رسول الله... خويدمك[1]".

وبقى أنس فى البصرة مرجعاً لكل المسلمين يسألونه فى أمور الدين ويطلبون منه المزيد من الحديث عن رسول الله ﷺ.

وقد روى عن أنس كثير من الصحابة والتابعين لأنه كان من أكثر الناس رواية عن رسول الله ﷺ. حيث إنه صحبه فترة طويلة ولازمه منذ هاجر إلى أن مات ثم أخذ عن أبى بكر وعمر وعثمان وأخرج له البخارى ثمانين حديثا، وأخرج له مسلم سبعين حديثا، وخرجا له معاً ١٢٨ حديثا.

استقر أنس بن مالك فى البصرة. وقد كان له فيها أربعة منازل، وقد أفاض[2] الله عليه من رزقه الخير الكثير بفضل دعاء رسول الله ﷺ له، فكان له بستان يحمل الفاكهة فى العام مرتين، وكان فيه ريحان يفوح منه ريح المسك، وعاش حتى ولد من صلبه ثمانون ذكراً وأنثيان ومات وله من ولده، وولد ولده مائة وعشرون ولدا، وكان له كل هذا ببركة دعاء الرسول ﷺ له:

---

(١) خويدم : تصغير خادم .

(٢) أفاض : ملأ .

- اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة .

وقد عاش ﷺ حتى جاوز المائة.

وكان فى آخر أيامه يمكث مع أولاده وأحفاده يلاعبهم ويداعبهم ويرمى معهم.

واشتد المرض على أنس بن مالك، وكان يحرص على الإمساك بعصاً حتى وهو فى حالة المرض. ولما سئل عن سر تلك العصا قال:

- هى من عند حبيبى رسول الله ﷺ. ادفنوها معى.

وتوفى سنة ثلاث وتسعين من الهجرة، ودفن أنس بن مالك بالطف قريبا من البصرة، وكان آخر من بقى من صحابة رسول الله ﷺ، ولقد استجاب الله لدعوة رسوله ﷺ بالبركة فى المال والولد، وقد قال ﷺ وأنا أنتظر الثالثة. أى المغفرة.

* * *

## محمد بن سيرين - رضى الله عنه -

ولد "محمد بن سيرين" لسنتين بقيتا من خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ.

وربى فى بيت ينتشر به الورع والتقى فى كل ركن من أركانه.. وهو بيت أنس بن مالك ﷺ.

ولما أيفع الغلام اللبيب، وجد مسجد رسول الله ﷺ يزخر[١] بالبقية الباقية من كرام الصحابة وكبار التابعين من أمثال زيد بن ثابت، وأنس بن مالك، وعمران ابن الحصين.. وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وأبى هريرة.

فأقبل علهم إقبال الظامئ على المورد العذب.. ونهل من علمهم بكتاب الله، وفقههم بدين الله، وروايتهم لحديث رسول الله ﷺ ما أفعم[٢] عقله حكمة وعلماً، وأترع نفسه صلاحاً وهدياً وروى عن مولاه أنس وعن أبى هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم.. ثم انتقل وأسرته إلى "البصرة" واتخذوها موطناً.

كانت "البصرة" يومئذ مدينة شابة بكراً.. فقد اختطها المسلمون فى أواخر خلافة الفاروق ﷺ، وكانت تمثل جل[٣] خصائص الأمة الإسلامية فى ذلك العصر.

فهى قاعدة عسكرية لجيوش المسلمين الغازية فى سبيل الله.. وهى مركز من مراكز التعليم والتوجيه للداخلين فى دين الله من أهل "العراق" و"فارس"..

وهى صورة للمجتمع الإسلامى الجاد الذى يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً، ويعمل لأخراه كأنه يموت غداً.

سلك محمد بن سيرين فى حياته الجديدة فى "البصرة" طريقين متوازيين متوازنين:

فجعل شطراً من يومه للعلم والعبادة.. وشطراً آخر للكسب والتجارة.

فكان إذا انبلج الفجر وأشرقت الدنيا بنور ربها، غدا إلى مسجد "البصرة" يعلم ويتعلم.

---

(١) يزخر: يمتلئ. (٢) أفعم: ملأ. (٣) جل: أكثر.

حتى إذا ارتفع النهار مضى من المسجد إلى السوق يبيع ويشترى.. فإذا جاء الليل وأرخى على الكون ستائره صف فى محراب بيته، وانحنى على أجزاء القرآن بصلبه، وبكى من خشية الرحمن بدموع عينيه وقلبه.. حتى يشفق عليه أهله وجيرانه الأدنون لما يسمعونه من نحيبه الذى يقطع نياط القلوب[١].

وكان - وهو يطوف بالسوق فى النهار للبيع والشراء- لا يفتأ يذكر الناس بالآخرة.. ويبصرهم بالدنيا.. ويرشدهم إلى ما يقربهم إلى الله.. ويفصل فيما يشجر[٢] بينهم من خلاف.

وكانت سيرته العملية خير مرشد للناس.. فما عرض له أمران فى تجارته إلا أخذ بأوثقهما فى دينه.. ولو كانت فيه خسارة تصيب دنياه..

وكان مجلس ابن سيرين، مجلس خير وبر! وموعظة.. فإذا ذكر عنده رجل بسيئة، بادر فذكره بأحسن ما يعلم من أمره.

ولقد كانت لمحمد بن سيرين مع ولاة بنى "أمية" مواقف مشهودة صدع[٣] فيها بكلمة الحق، وأخلص النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين.

ولقد شاء الله جل وعز أن يبلو صدق محمد بن سيرين وصبره، فعرضه[٤] لما يتعرض له المؤمنون من المحن..

من ذلك أنه اشترى ذات مرة زيتاً بأربعين ألفاً مؤجلة[٥].. فلما فتح أحد زقاق[٦] الزيت، وجد فيه فأراً ميتاً متفسخاً.

فقال فى نفسه: إن الزيت كله كان فى المعصرة فى مكان واحد، وإن النجاسة ليست خاصة بهذا الزق دون سواه.. وإنى إن رددته للبائع بالعيب[٧] فربما باعه للناس.. ثم أراقه كله.

وقد وقع ذلك فى وقت كان يشكو فيه من خسارة كبيرة حلت به.

---

(١) النياط: جمع مفرده نوط، وهو عرق معلق بالقلب إذا انقطع مات الإنسان.
(٢) فيما يشجر بينهم: فيما يتنازعون فيه. (٣) صدع: جهر.
(٤) عرضه للمحنة: جعله هدفاً لها. (٥) مؤجلة: مؤخرة الثمن.
(٦) الزقاق: جمع زق، وهو وعاء من جلد يوضع فيه الماء ونحوه من السوائل.
(٧) بالعيب: بسبب العيب، والرد بسبب العيب من حقوق المشترى.

فركبه الدين، وطالبه صاحب الزيت بماله، فلم يستطع سداده.. فرفع أمره إلى الوالى، فأمر بحبسه حتى يسدد ما عليه.

فلما صار فى السجن وطال مكوثه[1] فيه، أشفق عليه السجان لما علم من أمر دينه، وما رأى من شدة ورعه وطول عبادته، فقال له:

أيها الشيخ، إذا كان الليل فاذهب إلى أهلك وبت معهم.. فإذا أصبحت فعد إلى.. واستمر على ذلك حتى يطلق سراحك.

فقال له: لا والله لا أفعل.

فقال السجان: ولم، هداك الله ؟!.

فقال له: حتى لا أعاونك على خيانة ولى الأمر.

ولما احتضر أنس بن مالك رضى الله عنه،أوصى بأن يغسله محمد بن سيرين ويصلى عليه، وكان ما يزال سجيناً.

فلما توفى جاء الناس إلى الوالى وأخبروه بوصية صاحب رسول الله وخادمه، واستأذنوه فى أن يخلى سبيل محمد بن سيرين لإنفاذ الوصية فأذن له.

فقال لهم محمد بن سيرين: لا أخرج حتى تستأذنوا صاحب الدين، فإنما حبست بما له على من الحق... فأذن له الدائن أيضاً.

عند ذلك خرج من سجنه فغسل أنساً، وكفنه، وصلى عليه.. ثم رجع إلى السجن كما هو.. ولم يذهب لرؤية أهله.

عمر محمد بن سيرين حتى بلغ السابعة والسبعين.. فلما أتاه اليقين وجده خفيف الحمل من أعباء الدنيا.. كثير الزاد .

رحم الله محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك فقد كان فقيها وإماما غزير العلم، ثقة، علامة فى تعبير الرؤيا.. رأسا من الورع..وقد قال عنه مورق العجلى: ما رأيت أحداً أفقه فى ورعه ولا أروع من فقهه من ابن سيرين.. وقد توفى سنة ١١٠هـ بعد الحسن بمائة يوم.

* * *

(١) مكوثه: إقامته.

# رفيـــع بن مهـــران - رضى الله عنه -

## أبو العالية

ولد رفيع بن مهران فى بلاد "فارس"، وعلى أرضها نشأ وترعرع، ولما شرع المسلمون بغزو بلاد "الفرس" ليخرجوا أهلها من الظلمات إلى النور..

كان رفيع هذا أحد الشبان الأرقاء الذين وقعوا فى أيدى المســـلمين الحانيـــة، وآلوا إلى رحابهم الخيرة البانية.

ثم ما لبث أن وقف هو ومن معه على سمو الإسلام.. ووازنوا بينـــه وبيـــن ما كانوا عليه من عبادة الأوثان.. فطفقوا يدخلون فى دين الله أفواجاً.. ثم أقبلـــوا على كتاب الله.. وجعلوا يتملون من حديث رسول الله.

سمع من عمر وابن مسعود وعلى وعائشة.

ولقد انتهى أمر رفيع بن مهران إلى امرأة من بنى "تميم".

وكانت هذه المرأة سيدة عاقلة وقوراً.. ممتلئة تقى وإيماناً.. فكـــان يخـــدمها بعض النهار، ويرتاح فى بعضه الآخر.

فأتقن القراءة والكتابة فى أوقات فراغه، وتلقى خلالها طرفاً من علوم الـــدين، دون أن ينال ذلك شيئا من حقوقها عليه.

وفى ذات يوم من أيام الجمع توضأ رفيع، فأحسن الوضوء ثم استأذن ســـيدته بالانصراف.

فقالت: إلى أين يا رفيع؟.

فقال: ابتغى المسجد.

فقالت: أى المساجد تريد؟.

فقال: المسجد الجامع.[1]

فقالت: هيا بنا.

---

(١) الجامع: المسجد الذى تقام فيه صلاة الجمعة.

ثم مضيا معاً، ودخلا المسجد مع الداخلين، وهو لا يعلم ما تريد. فما إن امتلأ الجامع، وارتقى الإمام المنبر حتى أمسكت بيد رفيع، وقالت:

اشهدوا يا معشر المسلمين أنى أعتقت غلامى هذا رغبة فى ثواب الله.. وطمعاً بعفوه ورضاه.. وأنه ليس لأحد عليه من سبيل إلا سبيل المعروف.

ثم نظرت إليه وقالت:

اللهم إنى أدخره عندك ليوم لا ينفع فيه مال ولابنون.. ولما قضيت الصلاة، انطلق رفيع إلى سبيله، وانطلقت هى الأخرى إلى سبيلها أيضاً.

دأب رفيع بن مهران منذ ذلك اليوم على التردد إلى المدينة المنورة. فحظى بلقاء الصديق رضوان الله عليه، وذلك قبيل وفاته بقليل.

كما سعد بالاجتماع إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وقرأ عليه القرآن، وصلى خلفه.

وكما أكب رفيع - المكنى بأبى العالية- على كتاب الله ، فقد تعلق بحديث رسول الله.. فجعل يسمع روايته من التابعين الذين كان يلقاهم فى "البصرة". لكنه ما لبث أن طمحت نفسه لما هو أثبت[1] من ذلك.

فأخذ يمضى إلى المدينة حيناً بعد حين، ليسمعه من أفواه صحابة الرسول ﷺ أنفسهم، حتى لا يكون بينه وبين النبى ﷺ إلا شخص واحد هو الصحابى.

فأخذ عن عبد الله بن مسعود، وأبى بن كعب، وأبى أيوب الأنصارى، وأبى هريرة، وعبد الله بن عباس، وغيرهم وغيرهم..

ولم يقتصر أبو العالية على رواة الحديث فى المدينة المنورة.. وإنما كان ينشد حديث الرسول ﷺ فى كل مكان.

فإذا وصف له رجل بالعلم، ضرب إليه مهما كان بعيد الدار.

فإذا وصل إليه بادر فصلى خلفه.. فإذا وجده لا يتقن صلاته أحسن الإتقان.. ولا يوفيها حقها أكمل التوفية، أعرض عنه وقال فى نفسه:

---

(١) أثبت: أشد ثبوتاً وأقوى صحة.

إن الذى يتهاون فى صلاته يكون أشد تهاوناً فى غيرها.. ثم يحمل عصاه، ويعود من حيث جاء..

ولقد بلغ أبو العالية منزلة فى العلم فاق بها جميع أقرانه.. من ذلك أن أحد أصحابه قال: رأيت أبا العالية يتوضأ، والماء يقطر من وجهه ويديه.

والطهارة تتألق على كل عضو من أعضائه.. فحييته وقلت: إن الله يحب التوابين، ويحب المتطهرين.

فقال يا أخى:

ليس المتطهرون الذين يتطهرون بالماء من الدرن.. وإنما هم الذين يتطهرون بالتقوى من الذنوب.

فتأملت ما قاله، وأدركت أنه أصاب وأخطأت، وقلت: جزاك الله خيراً، وزادك علماً وفهماً.

ولقد دأب أبو العالية على حض الناس على طلب العلم، وجعل يرسم لهم سبل الوصول إليه، فيقول:

روضوا أنفسكم على تلقى العلم، وأكثروا من السؤال عنه.

واعلموا أن العلم لا يخفض جناحيه لمستح، أو متكبر.

فالمستحى لا يسأل لحيائه.. والمتكبر لا يسأل لكبريائه.

وكان يحض طلابه على تعلم القرآن، ورعايته، والاستمساك بما جاء فيه، والإعراض عما يتقوله المتقولون[1].. فيقول: تعلموا القرآن.. فإذا تعلمتموه، فلا ترغبوا عنه..وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام..وإياكم وهذه الأهواء[2]، فإنها توقع بينكم العداوة والبغضاء.

ولا تحيدوا عن الأمر الذى كان عليه صحابة رسول الله ﷺ قبل أن يتفرقوا ..

---

(١) يتقوله المتقولون: يبتدعه المبتدعون.

(٢) الأهواء: البدع وما تميل إليه الأفكار مما لا يوافق ما جاء فى كتاب الله، وحديث رسول الله ﷺ.

فنقلوا ذلك إلى الحسن البصرى فقال: لقد نصحكم أبو العالية – والله– وصدقكم.

ولم يكن أبو العالية معلماً فحسب، وإنما كان موجهاً أيضاً.. ذلك أنه كان يملأ عقول طلابه بالمعرفة النافعة.. ويغذى أفئدتهم بالموعظة الحسنة.. ويجمع بين الأمرين فى كثير من الأحيان.

ولم يكن أبو العالية عالماً عاملاً فحسب، ولا واعظاً مرشداً فقط.. وإنما كان مجاهداً أيضاً.. فكان يقضى قدراً من وقته فى ميادين الجهاد مع المجاهدين.. أو مرابطاً على ثغور الأعداء مع المرابطين.

ولقد ظل أبو العالية طوال حياته حزينا أسفاً لأنه لم يحظ بلقاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه..

وكان يحاول أن يعوض عن ذلك بالتقرب من كرام الصحابة الذين توثقت صلتهم بمحمد رسول الله ﷺ.

فكان يؤثرهم[١] ويحبهم، وكانوا يؤثرونه ويفضلونه.

ومن ذلك أيضاً أنه دخل ذات مرة على عبد الله بن عباس، وكان يومئذ يتولى إمارة "البصرة" من قبل على بن أبى طالب.

فرحب به عبد الله بن عباس أجمل الترحيب، ورفعه على سريره، وأجلسه عن يمينه.

وكان فى المجلس طائفة من سادة قريش، فتغامزوا[٢] به، وتهامسوا بينهم.. وقال بعضهم لبعض:

أرأيتم كيف رفع ابن عباس هذا العبد على سريره؟!.

وقد أدرك ابن عباس ما يتغامزون به، فالتفت إليهم وقال:

إن العلم يزيد الشريف شرفاً، ويرفع قدر أهله بين الناس، ويجلس المماليك على الأسرة.

---

(١) يؤثرهم: يفضلهم على نفسه.

(٢) فتغامزوا: جعل بعضهم يغمز لبعض بعينيه.

وتوفى رفيع بن مهران سنة ٩٠هـ وبلغ من تقاه وترقبه لليوم الآخر، واستعداده للقاء ربه، أنه أعد لنفسه كفناً.

وأنه كان يلبس كفنه كل شهر مرة ثم يرده إلى مكانه.. ولقد أوصى سبع عشرة مرة، وهو صحيح سليم.. وكان يحدد لكل وصية أجلاً، فإذا جاء أجلها نظر فيها.. فإما أن يعدلها.. وإما أن يبدلها.. وإما أن يمضيها.. وفى شهر شوال سنة ثلاث وتسعين للهجرة.. مضى أبو العالية إلى لقاء ربه، طاهر الذيل.. نقى النفس.. واثقاً برحمة ربه.. متشوقاً إلىٰ لقاء نبيه.

* * *